استمرار الفاعلية

ان استمرار العقيدة الصهيونية بعد تحقيق الهدف الذي اعلنته قبل قيام اسرائيل بنصف قرن من الزمن يؤلف دليلا قاطعا على ان تلك العقيدة ليست منوطة بذلك الهدف وحده ، بل هي تعتبره مجرد مرحلة جزئية تثب منها الى مراحل اخرى . فقد مارست الحركة نشاطاتها طيلة خمسين عاما في ظل البرنامج الذي اعلنه مؤتمر بازل الصهيوني الاول ١٨٩٧ بأن « هدف الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين (« أرض اسرائيل ») يضمنه القانون العام » . لكنها عادت بعد مضي ثلاث سنوات على قيام دولتها فوضعت « برنامج القدس » (١٩٥١) الذي أكدت فيه « ان مهمة الصهيونية هي توطيد دعائم دولة اسرائيل وتجميع المنفيين في أرض اسرائيل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي » .

وغداة حرب حزيران كان الجنرال اسحق رابين يخطب في الحفل الذي اقيم بمناسبة مرور سبعين عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول قائلا ما يلي : « ان موقعنا اليوم يختلف عما كان عليه قبل سبعين عاما . فقد تأسست آنذاك حركة يهودية صهيونية تهدف الى اقامة دولة يهودية في أرض اسرائيل . أما اليوم فهناك دولة يهودية عظمى تبحث عن المزيد من سكانها، عن أولئك الذين سوف يأتون للاستيطان والعيش فيها . هذا هو محك الحركة الصهيونية اليوم ، لأنه الطريق المؤدي الى تقوية دولة اسرائيل وتوطيد دعائمها . وعندما يصبح لدينا ٤ أو ٥ ملايين من اليهود في اسرائيل ، فلن يستطيع شيء ما الحاق الاذى بها أو زعزعة أركان وجودها .... ان المهمة المحورية التي تقبع أمام الحركة الصهيونية هي البحث عن سبل جديدة لزيادة الهجرة »(١).

لقد انقضى ما يزيد على عشرين عاما بعد قيام اسرائيل ولا تزال مسألة تشجيع الهجرة اليهودية من مختلف انحاء العالم احدى المهمات الرئيسية التي تضطلع بها الحركة الصهيونية . فالهجرة ليست في نهاية المطاف وظيفة من وظائف الامن فحسب ، بل ان تهجير اليهود الى اسرائيل يعتبر أسمى أشكال الصهيونية وأرفعها شأنا .

وحين انعقد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون (١٩٦٨) تم الاتفاق على اعادة صياغة الأهداف الصهيونية في برنامج جديد يتضمن المرتكزات الاساسية التالية : وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل وسط الحياة اليهودية . جمع شمل الشعب اليهودي في موطنه التاريخي (« أرض اسرائيل ») عن طريق الهجرة من جميع البلدان . تقوية دولة اسرائيل التي تقوم على أساس الرؤيا النبوئية للعدالة والسلام . الحفاظ على هوية الشعب اليهودي عن طريق رعاية التربية اليهودية والعبرانية وتنمية القيم الروحية والحضارية اليهودية . حماية الحقوق اليهودية في كل مكان(٢).

ان هذا البرنامج الصهيوني الذي تبنته الحركة لن يتأثر في عناصره الاساسية من جراء عقد الصلح بين العرب واسرائيل . اي انه لن يشهد تراجعا أو انحسارا فيما لو تم احلال السلام بين الاطراف المتنازعة . فهو من صلب العقيدة الصهيونية ، اذ ينص على الاهداف العريضة التي تسعى هذه العقيدة الى ممارستها ووضعها موضع التنفيذ . ومن السخف أن نتوقع مبادرة الصهيونية الى التخلي عن منطقها الداخلي وتمييع الروابط التي تشدها الى اسرائيل ، لا بل ابطال ذاتها وسلب مضمونها الجوهري ، متى تم عقد الصلح العتيد .

لذا تتراءى لنا احدى النتائج المترتبة عن حالة السلام بالنسبة للعقيدة الصهيونية على النحو الآتي : سوف تشكل حالة السلام تذليلا لكثير من العقبات التي كانت تعترض سبيل البرنامج الصهيوني ، وسوف تجد العقيدة الصهيونية نفسها في ذروة الانتصار ، وعلى عتبة مرحلة جديدة من تحقيق الذات واستمرار الممارسة والفعالية .

ان المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين أعاد في قراراته تعريف برنامج القدس بحيث